نشاط شركة الهند الشرقية الفرنسية (1664-1769)
قراءة: في أهمية التنافس التجاري في السياسة الاستعمارية للدول الكبرى في الشرق

أ.د.رنا عبد الجبار حسين الزهيري

dr.rana_alzuhairi@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية

الملخص

تأتي أهمية البحث من كونه يسلط الضوء على حقبة تاريخية مهمة من تاريخ الاستعمار الفرنسي في الشرق ، سعياً منها للوصول الى منافسة القوى الاوربية، فمنذ مطلع القرن السادس عشر بدأت بعض الدول الاوربية المهتمة في الاستكشافات الجغرافية تكثف نشاطها الاستعماري بهدف فتح اسواق جديدة وربطها باقتصادها، والاستحواذ على تجارة التوابل وخيرات الشرق، كانت فرنسا احدى تلك القوى الاوربية الاستعمارية التي أهتمت ببناء امبراطوريتها سعياً منها للوصول الى منافسة تلك القوى، فكانت الشركات التجارية من الوسائل الحوية التي تسهم في مد النفوذ الاستعماري، وعلى هذا الاساس أسهم التواجد الفرنسي الطموح في الشرق الى تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية لاحتكار تجارة التوابل ومنتجات الشرق والسيطرة على مناطق جديدة في الشرق، ودخولها في تنافس مع شركات الهند الشرقية الانكليزية والهولندية المتواجدة في تلك البقاع لتكون بداية مرحلة اخرى من مرحل التنافس الاستعماري في الشرق، أنشأت الشركة مراكز تجارية في الهند والعراق وبلاد فارس لعبت الشركة دوراً مهماً في تشكيل الامبراطورية الفرنسية، مع ذلك تم حل الشركة في عام 1769 بسبب الصعوبات المالية التي واجهتها.

الكلمات المفتاحية : شركة ، الهند الشرقية ، الاستعمار

Activity of the French East India Company (1664-1769)
Read: On the importance of commercial competition in the colonial policy of the major countries in the East

Prof.Dr.Rana AbulJabar H.AL.Zuhairi

Abstract

The importance of the study comes from the fact that it sheds light on an important historical era in the history of French colonization of a vital part of the Asian continent, seeking to compete with European powers. Since the beginning of the sixteenth century, some European countries interested in geographical exploration began to intensify their colonial activity with the aim of opening new markets and linking them to their economy. And it controlled the spice trade and the goods of the East. France was one of those European colonial powers that was interested in building its empire in an effort to compete with those powers. Commercial companies were one of the vital means that contributed to extending colonial influence, and on this basis, the ambitious French presence in the East contributed to the establishment of the French East India Company to monopolize the trade in spices and products of the East and control new regions in the East, and enter into competition with the British powers present in those areas. Which contributed to the demise of the French East India Company in the East.

Keywords: India, French East India Company, Colonialism

المقدمة

تفاعلت عوامل عدة في التأثير على توجيه السياسة الفرنسية الاستعمارية نحو الشرق منها مايتعلق بالتغييرات الاقتصادية التي شهدتها اوربا بشكل عام وفرنسا بشكل خاص بعد انتهاء مشاكلها الداخلية المتمثلة بـ الظروف الجيوسياسية والحواجز الكمركية في عهد الـ البوربون ، اذ سطع نجمها في مضمار الدول الاستعمارية، لاسيما بعد انتهاجها السياسة التوسعية نحو الشرق والغرب في عهد

لويس الرابع عشر(1643-1715) . ان بروز هذه المنطلقات التي وجهت الانظار الفرنسية نحو التسابق من أجل التوسع والاستحواذ على موارد العالم ومنطقة الشرق من أجل السيطرة على تجارة التوابل وخيراته، تطلب من السلطات الفرنسية الرسمية تقديم الدعم المادي للمبشرين والمستكشفين والتجار من اجل تحقيق الاهداف الاستعمارية الفرنسية في الشرق والتغلغل الى داخل القارة الاسيوية، ففي ستينيات القرن السابع عشر اعلن وزير المالية السير كولبير عن المخطط الذي يجعل فرنسا في المركز الاول في جميع المجالات مستغل ثروة فرنسا وقوتها لتنافس الدول الاوربية في الحصول على الامتيازات التجارية والاقليمية، عن طريق تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية التي خولتها الحكومة الفرنسية كل الصلاحيات للسيطرة على تجارة الشرق وساندتها بالقوة العسكرية والادارية والتي مكنتها من تأسيس محطات التجارية وخوض غمار المنافسة مع القوى الاوربية ، لاسيما انكلترا وهولندا اللتان سبقتا فرنسا في تأسيس شركتي الهند الشرقية الإنكليزية والهولندية (في عامي 1600 -1602 على التوالي)، اذ كانت تلك الشركات في سباق محموم فيما بينهما للسيطرة على مناطق النفوذ الى أن تم اقصاء شركة الهند الشرقية الفرنسية وأفول نجمها.

وللكشف عن تلك الامور تم اتباع المنهج التاريخي والوصفي للكشف عن أهم الاحداث التاريخية لمتابعتها والتعرف عن أهدافها لاهمية تلك الفترة التي ارتبطت اظهار حدة الصراع الدائر بين القوى الاوربية حول ترسيخ النفوذ السياسي والتجاري. قسمت الدراسة الى مقدمة وثلاث محاور وخاتمة.

المحور الاول: منطلقات السياسة الفرنسية الاستعمارية نحو الشرق

1- تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية

خلال القرن السادس عشر شهد الشرق اهتماماً ملحوظاً من الدول الاوربية ، لا سيما فرنسا التي بدأت تعمل للاشتراك في استعمارها، ومنذ وقت مبكر حاولت مراراً الحصول على موافقة لتأسيس شركة تجارية في الهند، اذ تعود جذور المحاولة الفرنسية الأولى لتأسيس شركة استعمارية الى عهد الملك هنري الرابع Henri IV(1553-1610)، اذ لم يكن أقل حماساً من الملوك الاوربيين في نطاقة الجغرافي كالبرتغال و انكلترا وهولندا في تطلعاتهم الى الشرق، وعلى أثر ذلك بدأ بتجهيز اول اسطول فرنسي للتوجهة الى الشرق لمنافسة القوى الاوربية في تجارة التوابل، إلا أن هذه الشركة لم يحالفها النجاح، وتكررت المحاولة الاخرى في عهد الملك لويس الثالث عشر Louise XIII (1601-1643) اذ قدم بعض تجار مدينة روين الفرنسية منهم جان جاك موريسون وايركييل دي كان الى الملك طلب القيام برحلة الى الهند وان يدفعون له جانباً من الارباح تم تشكيل شركة للمتاجرة مع الشرق في عام 1611 اطلق عليها اسم شركة مونتمورنسي للهند الشرقية Compagnie de Montmorency Pour Les Indes تخليداً لاسم اميرال البحرية الفرنسية هنري مونتمورنسي ، لم يقتصر نشاط شركة التجاري على مناطق ساحل المحيط الهندي فقط بل اتخاذ فارس محطة للانطلاق نحو الشرق (هاو، 1957، صفحة 70)، كانت لهم علاقات تجارية مع البصرة سبقت الانكليز والهولنديين اذ انها تعود الى عشرينات القرن السابع عشر عندما قدم اليها رهبان فرقة (الكراملة) عام 1623 من بلاد فارس، والذين كانا يتمتعان بحماية الحكومة الفرنسية، فقد اصدر الملك لويس الرابع عشر (1638-1715) قراراً بتعين رئيس البعثة التبشيرية الكرملية بتي دولا كرواPetit de la Crorx قنصلاً فرنسيا في البصرة بهدف حماية الطائفة الكرملية ، فضلاً عن توطيد النفوذ الفرنسي والحفاظ على المصالح التجارية في البصرة. (لونكريك، 1968، ص3) الا أن ذلك لم يستمر طويلاً بسبب الخلافات التي نشبت بين القبائل العربية في البصرة التي اثرت على التجارة بسبب عزوف التجار الفرنسيين عن استمرار تجارتهم هذا من جانب ومن جانب اخر انشغال الفرنسيين في حروبهم في اوربا تسبب في عدم الاهتمام بالشرق. (غنيم، 1984، صفحة 53)

وعلى الرغم من فشل هذه الشركة في الاستمرار في عـــملها (Mukherjee, 1958, p. 112) الا أن هذا الامر لم يثن الحكومة الفرنسية عن مواصلة نشاطهم في الشرق، فقد بادر وزير المالية جان- بابتست كولبير Jean Baptiste Colbert (1619-1665/1683-1668) في عهد الملك لويس الرابع عشر الشروع بتأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية اذ كان لدى كولبير ثقة كبيرة في الشركة كوسيلة لتسهيل التجارة عبر البحار. وعلى هذا الاساس بذل جهد لتوفير تمويل لتأسيس الشركة، فقد واجهته صعوبات في الحصول على الدعم المالي من التجار الفرنسيين وعلى أثر ذلك اقنع فرانسوا شاربنتيية من رواد الاكادمية الفرنسية بكتابة اعلان شديد اللهجة حول فوائد الانضمام الى الشركة، متسائلاً عن سبب شراء الفرنسيين للذهب والفلفل والقرفة والقطن من التجار الاجانب من خلال توضيحه لفوائد الانضمام الى الشركة، فضلاً عن ذلك كتب لويس الرابع عشر الى 119 مدينة فرنسية طلب من التجار

التجمع ومناقشة المساهمة في تأسيس الشركة الا أن العديد من التجار رفضوا المساهمة، واصبح الملك لويس الرابع عشر يملك معظم اسهم الشركة، اصدر ميثاقها عام 1664 لغرض التجارة في نصف الكرة الشرقي (Edwardes, 1961, p. 53) ،التي نتجت عن دمج الشركات السابقة، تم تعيين كان دي فاي اول مدير عام للشركة والتحق معه مديران من اهم مؤسستين تجاريتين في فرنسا في ذلك الوقت بهدف توطيد النفوذ الفرنسي في الشرق وإبراز أهمية فرنسا البحرية وتعزيز الاقتصاد الفرنسي عبر المكاسب التي تحصل عليها الشركة، فقد تعرضت الشركة في سنواتها الاولى الى منافسة مستمرة مع شركة الهند الشرقية الهولندية1 ، قامت الشركة الفرنسية ببعثات استكشافية باهضة الثمن غالباً ما تعرضت للمضايقات وحتى المصادرة من قبل الهولنديين الا انها تمكنت من الازدهار خلال سنوات عقدها الاول. (غنيم، 1984، صفحة 53)

2- تأسيس المحطات التجارية الفرنسية في الهند

كثفت شركة الهند الشرقية الفرنسية جهودها لتاسيس المحطات التجارية ففي عام 1667 ارسلت بعثة استكشافية بقيادة فرانسوا كارون برفقة تاجر فارسي اسمه ماركارا التي وصلت الى سورات عام 1668 تمكن الفرنسيون من تأسيس أول محطة تجارية في سورات كان الهدف الأساسي منها توطيد نفوذهم في جزيرة سيلان، وفي عام 1669 تم تأسيس محطة فرنسية اخرى في ماتشيليبتنام، واستمروا ببعثاتهم ومحاولاتهم لتاسيس المحطات التجارية وأرسلوا عام 1670 أسطولاً ضخماً لتحقيق هدفهم إلا أنهم صطدموا بالقوات الهولندية وتم طردهم من تلك المحطات. . (Edwardes, 1961, p. 181)

لم يتوقف التقدم الفرنسي، فقد تمكن الضابط الفرنسي بيلانغر دي لاسبياي في عام 1673 من الاقامة في قرية بوندشيري Pondicherry الواقعة جنوب المحيط الهندي، والتي تقع بالقرب من المستوطنة الإنكليزية في مدراس، كما تمكنوا من السيطرة على موقع قرب كلكتا عام 1674 من نائب البنغال. (Marshall, 1962, p. 88)

فيما يخص بونديشيري فقد تمكن الفرنسيون من توطيد اقدامهم وتأسيس محطة تجارية عام 1674 تحت ادارة الحاكم العام فرانسوا مارتن الذي بذل جهد لتنفيذ مشاريعه الطموحة فقد تمكن من تحويل بوندشيري من قرية صيد صغيرة الى ميناء مزدهر الا أنهم سرعان ما تعرضوا الى منافسة من قبل الهولنديين الذين حصلوا على دعم الإنكليز لهم، وكان لهذا التنافس الأثر السيئ على النفوذ الفرنسي في المنطقة ،لاسيما أن القوات الهولندية سيطرت على بوندشيري عام 1693 وبالرغم من ارجاعها للفرنسيين بموجب معاهدة ريسويك Ryswick الموقعة بين الجانبين عام 1697 على اثرها قام الفرنسيون بإنشاء التحصينات في بوندشيري ، إلا أن النفوذ الفرنسي في المناطق الأخرى كان في حالة تدهور وأصبحت هذه الجزيرة قاعدة للنشاط الفرنسي في النصف الأول من القرن الثامن عشر، ونجح حاكمها لابوردنيه من ضم أحدى الجزر المجاورة لها، أطلق عليها الفرنسيون جزيرة بوربون وقاموا ببناء أسطول قوي فيها للتصدي للسيطرة البحرية البريطانية في المحيط الهندي. (قاسم، 1985، صفحة 175)

حاول الفرنسيون اعادة العلاقاتهم مع بلاد فارس فقد ارسلت فرنسا بعثة الى بلاد فارس عام 1705 بهدف تعزيز التجارة الفرنسية في خضم المنافسة القوية المحتدمة بين الانكليز والهولنديين هناك وذلك عن طريق منطقة الخليج العربي. (هاو، 1957، صفحة 362)

المحور الثاني: التنافس البريطاني- الفرنسي في الهند

تعد فرنسا آخر القوى الأوربية الكبرى التي نزلت إلى ميدان التنافس التجاري في الشرق كانت بريطانيا وفرنسا في بداية القرن الثامن عشر اقوى الدول الاستعمارية في العالم وفي المحيط الهندي، لذا بدأ التنافس يزداد بينهما من أجل الهيمنة على القوى السياسية والسيطرة على الممرات البحرية والموانئ المهمة لاسيما وأن بريطانيا قد وصلت للهند وأسست شركة الهند الشرقية الانكليزية

1 تأسست شركة الهند الشرقية الهولندية عام 1602 من قبل الحكومة الهولندية للتجارة مع جزر الهند الشرقية وأنشأت هذه الشركة في المد ما بين (1650-1670) وكالة تجارية لها في منطقة الكاب (رأس الرجاء الصالح) واستولت على جزيرة سيلان وساحل مالبار (الساحل الغربي للهند) بعد أن طردت البرتغاليين في المدة ما بين (1658-1663) وعندما واجهت الشركة التنافس البريطاني المتزايد خرجت من الهند عام 1789. للمزيد من التفاصيل أنظر: (Watson, 1976, p. 325)

[2] The English East India Company عام 1600 قبل الفرنسيين الذين اسسوا شركتهم التجارية في ستينات القرن السابع عشر، اذ كانت شركة الهند الشرقية البريطانية شركة خاصة (أهلية) في حين كانت شركة الهند الشرقية الفرنسية تحت سيطرة الحكومة الفرنسية المباشرة ولهذا فأنها أكثر تعرضاً للمسائل السياسية التي تواجه الحكومة الفرنسية (Wolpert, 1982, p. 77)، وقد تمكنت هذه الشركة من بسط نفوذها وتعزيز مكانتها باحتلال جزيرة موريشيوس وهي مكسب مميز جداً بالنسبة للفرنسيين لتعزيز قوتهم البحرية في الشرق، وبهذا أصبحوا أعداء لدودين للبريطانيين في الهند . (Mukherjee, 1958, p. 115)

ازداد التنافس البريطاني الفرنسي في الهند أثر تفكك الامبراطورية المغولية بعد وفاة الامبراطور اورنكزيب عام 1707 بسبب أشتداد النزاع بين القوى المحلية، فقد استغلت بريطانيا وفرنسا هذا الوضع لتحقيق إطماعهما في الهند (Edwardes, 1961, p. 181) مستغلتين حال الصراع على السلطة الذي نشأ بين الأمراء الهنود المتمثلين بـ ثلاث قوى هي قوات نظام [3] في حيدر أباد وحاكم كارناتك المسلم وقوات ماراثا الهندوسية عن طريق دعمهم لبعض الحكام الهنود المتنافسين على السلطة، وعلى اثر ذلك أصبح لهم نفوذ سياسي كبير في المنطقة ؛ فقد تعرض المسلمون المسيطرون على كارناتك، في جنوب القارة الهندية الى هجوم من قبل قوات ماراثا، مما أدى الى هزيمة وقتل حاكم كارناتك دوست علي Dost Ali الذي حكم للمدة مابين(1732-1740)، واضطراب الأوضاع خلال المدة(1740-1763)، وتدخل الشركتين البريطانية والفرنسية في الصراع، فقد اصطبغ هذا الصراع بطابع علاقة الدولتين في أوربا سلماً وحرباً (Hill, 1977, p. 133)، مما أثر على أهم المراكز التجارية لبريطانيا وفرنسا في مدراس وبوندشيري على ساحل كارناتك، فضلا عن قلعة سانت ديفيد البريطانية جنوب بوندشيري . (Watson, 1976, p. 99)

كان الحاكم العام الفرنسي في الهند جوزيف- فرانسوا دوبليكس (*)Joseph-Francois Dupleix (1697- 1731/1764 -1754) يطمح لاخضاع مساحات واسعة من الهند لنفوذ فرنسا ومن اجل ذلك قام جوزيف علاقات طيبة مع الامراء المحليين، كما اهتم بتأسيس جيش محلي في فترة صراعه مع بريطانيا في الهند ، اثار طموح دوبليكس مخاوف البريطانيين والتي اسهمت في اشتعال الصراع بين الجانبين والى قيام العديد من حروب بينهما ادى التنافس بين الشركتين التجاريتين في الهند الى الاحتدام بلتوازي مع علاقة بلديهما في اوربا سلماً وحرباً ومن ابرزها قيام حرب الوراثة النمساوية(1740-1748). (Harris, 1963, p. 55)

أدى إعلان الحرب بين بريطانيا وفرنسا عام 1744 في أوربا إلى وضع الشركتين البريطانية والفرنسية في حال حرب في الهند من الناحية الرسمية، وسعت إدارة الشركة الفرنسية في الهند الى تهدئة الأوضاع مع البريطانيين، لذلك قدمت طلباً إلى شركة الهند الشرقية البريطانية حثتها فيه على المحافظة على الحياد، إلا أن الشركة البريطانية رفضت المقترح الفرنسي لأنها كانت تسعى لاستمرار عملياتها المناوئة ضد الشركة الفرنسية واستولى البريطانيون على سفينة فرنسية في الساحل الجنوبي الشرقي للهند(Smellie,1962 P .(P.59-60

كان الفرنسيون في ذلك الوقت لا يمتلكون أسطولاً في المياه الهندية إلاّ أنهم كانوا يسيطرون على جزر موريشيوس، وهذا ما جعل المواجهة مع البريطانيين متوقعة، لاسيما بعد أن وصلت مجموعة من السفن الفرنسية من موريشيوس، وعلى أثر ذلك نشبت حرب كارناتك الأولى The first Carnatic war (1746-1748)، إذ قام الفرنسيون بقيادة الحاكم العام الفرنسي في الهند دوبليكس بمحاصرة واجتياح مدراس والاستيلاء على الكثير من مراكز البريطانيين عند الشواطئ الشرقية ، وأمام هذا الاجتياح الفرنسي فإن البريطانيين طلبوا من حاكم كارناتك المدعو محمد أنوار الدين Muhammad Anwaruddin(1672 -1749/ 1744-1749) الدفاع عن مدراس وطلب حاكم كارناتك من الحاكم العام الفرنسي دوبليكس رفع الحصار عن المدينة، إلاّ أن الأخير لم يستجب للطلب مما اضطر الحاكم إلى إرسال قوات لمحاربة القوات الفرنسية وعلى الرغم من كثرة عدد جيش الحاكم إلا أن الجيش الفرنسي كان أفضل من ناحية المعدات، اذ كانت القوات الأوربية متفوقة على القوات الهندية المحلية والتي كانت منظمة بشكل غير جيد، فضلا عن عدم امتلاكها للاسلحة الجيدة وكانت معداتها رديئة وقياداتها ضعيفة. (الساداتي، (د.ت)، صفحة 280) لذلك أحرز الفرنسيون نصراً على جيش الحاكم إلا أن ذلك التفوق لم يستمر، بسبب مغادرة الجنرال الفرنسي توماس ارثر لالي(*) Thomas Arthur

---

* شركة تجارية تأسست بموجب الميثاق الملكي الذي منحته الملكة اليزابث الاولى في 31 كانون الاول 1600 لتجار لندن للمتاجرة مع جزر الهند الشرقية.

* نظام Nizam: لقب حاكم حيدر آباد في الهند للمدة(1713-1950). أنظر: (البعلبكي، 2009، صفحة 779)

Lally (1702-1766) للهند ووصول القائد البريطاني كريفين Griffin(1719-1797) للهند في نهاية عام(1747) الذي شجع القوات البريطانية على ضرورة مواجهة القوات الفرنسية، التي زاد عددها مطلع عام (1748) اثر وصول قوات إضافية الى مدراس، مما دفعه إلى أعداد حملة بقيادة الأدميرال ادورد بوسكاوين Admiral Edward Boscawen(1711-1761) لمحاصرة بوندشيري واسترجاع مدراس، إلا أن ذلك لم يتحقق، مما دفع بوسكاوين الى التقهقر الى قلعة سانت-ديفيد، للاستعداد للقيام بحملة للاستيلاء على بوندتشيري. (Chhabra, 1971, p. 128.)

قبل أن تنتهي الحرب بين الشركتين في الهند انتهت الحرب في أوربا بمعاهدة اكس لا شابيل [4] Aix – la – Chapell التي عقدت عام 1748، وبموجبها تعهد البريطانيون والفرنسيون بإيقاف الأعمال العدائية في الهند، على ان يقوم الفرنسيون بإرجاع مدراس إلى البريطانيين، مقابل تنازل البريطانيين عن لويسبرك Louisbourg في أمريكا الشمالية الى فرنسا إلاّ أن البريطانيين بعد ذلك لم يوقفوا الحرب نهائياً مع الفرنسيين في الهند، واستمرت الشركتان في حالة حرب متقطعة، على الرغم من أن أوربا كانت تعيش في حال سلام؛ فقد تدخل أصحاب الشركات الأوربية في سياسة الهند والشؤون المحلية وتوظيفها لخدمة مصالحهم في المنطقة. (Chhabra, 1971, p. 129)

استغل الفرنسيون نشوب حرب كارناتك الثانية[5] The Second Carnatic war(1749-1754) تحالف دوبليكس مع الحكام المحليون وباحتدام الصراع انتصر الحلف الذي أيدته فرنسا (Marshall, 1962, p. 188) ؛ وعلى أثر ذلك اصبح دوبليكس حاكماً على كل المقاطعات المغولية جنوب نهر كريشنا، الامر الذي اثار البريطانيين وفي العام نفسه أرسلت الحكومة البريطانية قوات ملكية الى الهند لإسناد الجيش التابع للشركة(Plumb, 1950, P.173.) ، بالمقابل مارست الحكومة الفرنسية ضغوطاً على الشركة الفرنسية؛ لأنها تخشى توجيه البريطانيين ضربة للمصالح الفرنسية في أمريكا الشمالية؛ لذا قررت بأن لا تحارب البريطانيين في الهند، إذ تم استدعاء دوبليكس الى فرنسا. (Wolpert, 1982, p. 177)

بهذا تكون الشركة البريطانية قد أحرزت نصراً آخر بالتخلص من دوبليكس فبعدما استدعاه لويس الخامس عشر(1715-1774/1723) إلى العاصمة الفرنسية خلا الجو للبريطانيين ، وتم عقد معاهدة بين الشركتين (1754) والتي بموجبها تم الاتفاق على المحافظة على مبدأ توازن القوى في الهند ، وعدم التدخل في الخلافات بين الحكام الهنود (Frazer, 1958, P.248.) التي وافق على شروطها الحاكم العام الفرنسي شارل جوديهو Charles Godehou (1754-1755) الذي حل محل دوبليكس في الهند ، فضلا عن موافقة البريطانيين عليها، إلا أنه في حقيقة الأمر أصبح للشركة البريطانية اليد العليا في الهند. (Mukherjee, 1958, p. 163)

المحور الثالث: اقصاء شركة الهند الشرقية الفرنسية

استمرت بنود معاهدة 1754 سارية المفعول بين الجانبين حتى اندلاع حرب السنوات السبع Seven-Year War (1756-1763) والتي نشبت بين مجموعتين من القوى الاوربية، مثلت فرنسا والنمسا وسكسونيا وروسيا والسويد المجموعة الاولى، بينما كانت بريطانيا وبروسيا وهانوفر المجموعة الثانية ، اذ كان السبب المباشر لها المنافسة الاستعمارية بين بريطانيا وفرنسا في العالم الجديد،

---

[*] معاهدة اكس لا شابيل: أنهت حرب الوراثة النمساوية وقعت في 18 تشرين الأول 1748 فرضت بريطانيا وفرنسا المعاهدة على الأطراف المتنازعة، بموجبها انسحبت فرنسا من هولندا واستعادت فرنسا جزيرة بريتون Breton (في المحيط الأطلسي) بينما تخلت عن مدراس لبريطانيا. (Marshall, 1962, p. 66)

[5] حرب كارناتك الثانية: من الحروب الأهلية التي حدثت في جنوب الهند بسبب الصراع على السلطة في كارناتك والدكن أثر تسلم محمد علي خانMuhammed Ali Khan(1717-1795/1749-1795) حكم كارناتك بعد والده أنوار الدين، فقد ثارت عليه جماعة دوست علي الحاكم السابق بقيادة جندا صاحبChanda Sahib صهر دوست علي، المطالب بحكم كارناتك استمر للمدة مابين(1749-1752)، فضلاً عن ذلك فقد عانت مقاطعة الدكن من صراعات بين الأسر المحلية؛ لوفاة حاكمها عساف شاه الذي حول مقاطعة الدكن الى مملكة مستقلة تقريبا، إذ خلفه ابنه ناصر جنك Nasir Jang (1712-1748/1750-1750)، ونازعه عليها ابن أخيه المدعو مظفر جنك Muzffar Jang الذي ادعى أنه عين حاكماً لمقاطعة الدكن بأمر من إمبراطور المغول، فقد تحالف الأخير مع القوات الفرنسية وتمكن من الوصول للحكم للمدة(1750-1751). أنظر: (Marshall, 1962, p. 362)

وقد حدثت المواجهات بين الأطراف المتحاربة في مناطق عدة أهمها أوربا وشمال أمريكا والهند، إذ أدت تلك الحرب إلى تدهور العلاقات بين البلدين وعكست تأثيرها في الهند، ولاسيما عندما وصلت أحداثها إلى الهند في نهاية عام (1756) (Wolpert, 1982, p. 178)، وقد أدت الحرب الى حدوث أعمال عدائية بين بريطانيا وفرنسا في الهند، اذ عمل الحاكم البريطاني روبرت كلايف Robert Clive (1725-1774)على التصدي للفرنسيين وطردهم من اغلب المناطق الهندية، وعليه فقد أصبح النفوذ البريطاني هو السائد في البنغال عام1757 بسبب استيلاء الشركة البريطانية على المستوطنة الفرنسية جانديرناجوري في البنغال قرب كلكتا، لاسيما أن الماركيز كاستيلناو دي- بوسي* Marquis Castelnau De-Bussy (1718-1785) قائد القوات الفرنسية في الدكن كان في المناطق الشمالية، وعند معرفته بهذه الأحداث بدأ بالهجوم على القواعد العسكرية البريطانية التي تقع في سيراكس Cerracks, وقد استغلت الحكومة الفرنسية تفوقها في السنة الأولى من حرب السنوات السبع؛ لذلك قررت ضرب النفوذ البريطاني في الهند بارسال تعزيزات إلى الشركة الفرنسية بقيادة الجنرال لالي. لم يقتصر التنافس بين الجانبين البريطاني والفرنسي على الهند بل امتد الى قارة افريقيا واصبح المحيط الهندي منطقة سباق مصالح بحرية حاد بين القوتين، فقد اصبحت مناطق تواجدهم في فارس والبصرة التي طلب فيها القناصل الفرنسيون من حكومتهم تعزيز نفوذهم وذلك عن طريق زيادة السفن الحربية في الخليج العربي المتجهة للبصرة وهذا ما لاقى اعتراض شديد من قبل البريطانيين، كمل شمل ذلك الهند التي باتت كلتا الشركتان المدعومتان من حكومتيهما تقيم مناطق عسكرية بفعل سعيهما لتأسيس قوات عسكرية خاضعة لحكومتيهما بحجة حماية مصالح بلديهما وقد أصبحت حالة الصراع ملازمة لتواجدهما أينما حلو، وعلى أثر ذلك بدأت حرب كارناتك الثالثة The Third Carnatic war (1757-1763) وحقق الفرنسيون في البداية نجاحاً ساحقاً، فقد استولوا على قلعة سانت ديفيد من البريطانيين, وبوصول القوات الفرنسية بقيادة الجنرال لالي إلى الهند تم تهديد جميع المستوطنات البريطانية في المنطقة، إذ قرر لالي بكل حكمة القضاء على النفوذ البريطاني في كارناتك بإخضاع مدراس, غير أن هذا لم يتحقق لتعرض الشركة الفرنسية الى أزمة مالية ، فضلاً عن فقدان القوات الفرنسية الى التنسيق بين القوات البرية والبحرية التي كانت تحت قيادة داج Dache، وفي ذلك الوقت تعرض داج الى هزيمة أمام الأسطول البريطاني (Mukherjee, 1958, p. 127) ، لذلك كرس لالي جهوده لحل الأزمة المالية، فأعلن في 18 تموز 1758 أن حاكم ولاية جانداناجار Chandannagar الواقعة غرب البنغال كان مديناً للشركة الفرنسية بمبلغ قدره (700) الف روبية منذ عهد دوبليكس، وعلى الرغم من محاصرة حاكم جانداناجار من قبل القوات الفرنسية، إلا أن لالي لم يتمكن من الحصول على ذلك المبلغ بسبب نقص ذخائر الجيش الفرنسي وفقدان الثقة بين لالي وإتباعه, وفي 3 آب من العام نفسه غادر الأسطول الفرنسي المياه الهندية لتعرضه الى خسائر على يد الأسطول البريطاني، وبعد ذلك غادر الأسطول البريطاني ساحل مدراس على الرغم من استغلال لالي للموقف واستمراره بغزو المناطق التي يسكنها البريطانيون (Chhabra,1971, p. 245.) ، ففي 14 كانون الأول 1758 فرض حصار على مدراس لكن لم يستمر طويلاً، وفي 16 شباط 1759 تمكن الأسطول البريطاني من الانتصار على القوات الفرنسية ورفع الحصار عن مدراس، وبهذا خسر لالي السيطرة على كارناتك(Harris, 1963 , P.161)واستغل البريطانيون الموقف وقاموا بتثبيت نفوذهم في بلاط حيدر آباد وفي هذه الأثناء تعرض الأسطول الفرنسي الى هزيمة قاسية أمام البريطانيين، أدت إلى مغادرة قائد الأسطول الفرنسي داج الهند الى الأبد، تاركاً البريطانيين سادة على البحار بلا منازع . (Mukherjee, 1958, p. 128)

حاصر البريطانيون بوندشيري في آيار 1760 ، وسعى الفرنسيون للتقرب من حاكم ميسور، إذ كانوا يأملون استعادة مواقعهم بالتحالف معه، ولكن الجيش الذي أرسله حاكم ميسور لمساعدة الفرنسيين لم ينقذ الموقف، وفي 16 كانون الثاني 1761 استسلمت بوندشيري بلا شروط، بعد الهزيمة في معركة واندواش Battel of Wandiwash قرب قلعة واندواش التي كان الفرنسيون يحاصرونها ما أدى الى دمار الشركة الفرنسية وأسر القائد الفرنسي بوسي الذي حكم عليه بالاعدام(Mowat,, 1960, P.511) ، وبعد مدة قصيرة تمكن البريطانيون من السيطرة على المستوطنات الفرنسية على ساحل مالبار، وبذلك لم يترك البريطانيون للفرنسيين أي نفوذ في الهند(Chhabra,1973,P.151.)، وقد أدت السياسة التي اقرها وليم بت الأب William Pitt (1708-1778) بتوليه

* الماركيز كاستيلناو دي-بوسي: ضابط في الجيش الفرنسي برتبة عميد، شارك بالكثير من الحروب الفرنسية-البريطانية في الهند، تولى منصب الحاكم العام الفرنسي في الهند للمدة(1783-1785). أنظر: (Abboud, 1987, p. 71)

إدارة الجيش دوراً مهماً في تفوق النفوذ البريطاني على نظيرة الفرنسي في الهند، فقد أدى حصار الموانئ الفرنسية والسيطرة البريطانية على البحار إلى منع وصول الإمدادات إلى الشركة الفرنسية في الهند وتحقيق التفوق العسكري .

انتهت حرب السبع سنوات بين فرنسا وبريطانيا بصلح باريس عام 1763، وبموجبه استردت فرنسا مراكزها التجارية في الهند ولكن بشرط أن لا يكون لها أي نفوذ عسكري في المنطقة، وكانت من نتائج حرب السنوات السبع تفوق النفوذ البريطاني على النفوذ الفرنسي في مناطق عدة في العالم، فضلا عن تنازل فرنسا إلى بريطانيا عن كندا وعن جزر الهند الغربية. (عمر، 1989، صفحة 283)

أما في الهند فقد استولى البريطانيون على بوندشيري ، وقد كلفت الحرب بريطانيا الكثير من الأموال أي إنها عرضتها إلى خسائر مالية كبيرة، إلا أن حسم نتيجة الحرب لصالح البريطانيين جعلها متفوقة على منافسيها الأوربيين وأصبحت الشركة في مركز الصدارة في النشاط التجاري العالمي للمتاجرة مع دول الشرق فقد أهتم الملك جورج الثالث George III (1738-1820/1760-1820) باحكام السيطرة البريطانية على الهند . (Hinton, 1958, p. 88)

ومن الملاحظ أن شؤون الهند أخذت اهتماماً كبيراً من الحكومة البريطانية التي حرصت على إقامة علاقات جيدة مع إدارة شركة الهند الشرقية لضمان المصالح البريطانية السياسية والاقتصادية هناك، لاسيما أن الحكومة البريطانية كانت تعد الشركة ابرز أداة لتنفيذ السياسة الامبريالية البريطانية في الهند، بينما لم تقدم الحكومة الفرنسية الدعم اللازم لشركة الهند الشرقية الفرنسية لأجل تعزيز وجودها في الهند، فقدت فرنسا بعد الحرب نفوذها على الأمراء المحليين؛ كما أدى الانتصار الذي حققته بريطانيا على فرنسا في الحرب الى تغيرات كبيرة في وظائف الشركة وفي علاقتها مع الحكومة.

وهذا صب في خدمة المصالح البريطانية في المنطقة. وبانتهاء حرب السنوات السبع أصبحت بريطانيا القوة الأوربية الوحيدة الحرة في الاستثمار في الهند والخليج العربي فقد خسرت شركة الهند الشرقية الفرنسية الكثير من الاموال بسبب الحروب التي دارت في الهند على مدى عشرين عاماً للمدة ماين(1744-1763)، وتنازلت عن معظم ممتلكاتها في الهند ما عدا بعض المراكز والجزر القليلة في المحيط الهندي، لم تتمكن الشركة من الحفاظ على نفسها مالياً، بلغ الامر بالحكومة الفرنسية اصدر الملك لويس السادس عشر مرسوماً بحل شركة الهند الشرقية الفرنسية عام 1769، هذا لا يعني تخلي فرنسا عن مطامعها الاستعمارية واستسلامها للاحتكار البريطاني لثروات الشرق وقد اتضح هذا الامر في اعقاب الثورة الفرنسية 1789 التي أنهت الحكم الملكي ووضعت اسس الحكم الجمهوري في فرنسا الذي اسهم باستئناف النشاط الفرنسي في الشرق.

الخاتمة:

- أن توجهات السياسة الفرنسية الخارجية واهتمامها بالشرق كانت انعكاساً للتطورات الاقتصادية والسياسية في اوربا.
- مهدت المعلومات التي قدمها المستكشفون الاوربيون حول العالم الى تعبيد الطريق امام السياسيين والاداريين وفتحت لهم الافاق امام بلورة فكرة الاستعمار.
- تعد فرنسا اخر القوى الاوربية التي نزلت ميدان التنافس التجاري مع الشركات الاوربية في الهند.
- لم يكن تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية بمعزل عن الاهداف الاساسية للتوجه الاستعماري للتجار في الشرق بل كان تأسيس الشركة قاسم مشترك وهدفاً اساسياً لمخططي السياسة الاقتصادية الفرنسية وزير المالية جان- بابتست كولبير و للملك لويس الرابع عشر.
- ادى النشاط التجاري للشركة الى حدوث منافسة مع الدول الاوربية التي كانت لها مصالح تجارية في الشرق.
- قاد اعلان الحرب بين بريطانيا وفرنسا في اوربا الى اشراك الشركتين البريطانية والفرنسية في حال حرب في الهند من الناحية الرسمية.
- لم يثني فشل شركة الهند الشرقية الفرنسية وانسحابها من الهند تخلي الحكومة الفرنسية عن أهدافها الاستعمارية.

قائمة المصادر

المصادر العربية :

البعلبكي، منير . (2009). المورد الحديث. بيروت

الساداتي ، احمد محمود ((د.ت)). *تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم(الدولة المغولية)*. القاهرة .

عمر ، عبد العزيز عمر. (1989). التاريخ الاوربي والامريكي الحديث. القاهرة.

غنيم ، عادل حسن. (1984). تاريخ الهند الحديث. القاهرة.

قاسم ، جمال زكريا (1985). الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي الأول1507- 1840. القاهرة.

هاو ، سونيا ي. (1957). في طلب التوابل. القاهرة.

المصادر الاجنبية :

Chhabra, G. (1971). *An Advanced Study in the History of Modern India(1707-1813).* . Delhi.
Abboud, C. (1987). *Chronique de la France et des Francais.* Paris.
C.Hinton, H. (1958). *Major Governments of Asia.* New York.
Edwardes, M. (1961). *Asia in the European Age1498-1955.* New York.
Harris, R. (1963). *England in The Eighteenth Centur.* London.
Hill, C. (1977). *British Economic and Social History(1700-1975).* London.
Marshall, D. (1962). *Eighteenth Century England.* England.
Mukherjee, R. (1958). *The Rise and fall of the east India Company.* Veb Deutscher Verlag Der Wissenschaften.
Watson, O. (1976). *Longman Modern English Dictionary.* London.
Wolpert, S. (1982). *A New History of India.* London.